... كَفَىٰ العُربَ فَخْراً...

لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر ، حدثت بعض الأحداث وهم في الطريق إلىٰ المدينة المنورة ، منها :

* فوات صلاة الفجر : فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : سرْنا مع النبي ﷺ ليلةً ، فقال بعض القوم : لو عرَّستَ بنا يا رسول الله ، قال : «أخافُ أن تناموا عن الصلاة» .

فقال بلال رضي الله عنه : أنا أوقظكم ، فاضطجعوا ، وأسند بلالٌ ظهره إلىٰ راحلته ، فغلبتْه عيناه ، فنام ، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجبُ الشمس ، فقال : «يا بلال ، أين ما قلتَ؟» ، قال : ما أُلقيَتْ عليَّ نومةٌ مثلها قطّ . قال : «إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردّها عليكم حين شاء ، يا بلال ، قُم فأذّن بالصلاة» ، فتوضأ ، فلما ارتفعت الشمس وابيضّت ، قام فصلّىٰ[1] .

* مقالة النبي ﷺ حين رأىٰ جبل أحد : عن عقبة بن سويد الأنصاري أنه سمع أباه ، وكان من أصحاب النبي ﷺ قال : قفلنا مع النبي ﷺ من غزوة خيبر ، فلما بَدَا له أُحد ، قال : «الله أكبر ، أحدٌ جبلٌ يُحبّنا ونحبّه»[2] .

* وشأن شارب الخمر : فعندما قام المسلمون بإهراق الخمر لليهود ، عمد يومئذٍ رجلٌ من المسلمين ، فشرب من ذلك الخمر ، فرُفع ذلك إلىٰ النبي ﷺ ، فكره ذلك ، فخفقه بنعله وأمر من حضَرَهُ فخفقوه بنعالهم ، وكان يُقال له عبد الله الحمار ، وكان رجلاً لا يصبر عن الشراب فضربه رسول الله ﷺ مراراً ،

---

(١) صحيح البخاري : ١/ ١٥٤ .

(٢) أخرجه ابن حنبل والطبراني في معجم (مجمع الزوائد ٤/ ١٣) .

فقال عمر رضي الله عنه: الْعَنْهُ ما أكثر ما يُضرب ، فقال صلوات الله عليه: «لا تفعل يا عمر ، فإنه يُحبّ الله ورسوله»[1].

نعم يا سيدي يا أبا الزهراء!.

هذه اللفتات كلها تدور حول محور أساسيّ هو قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

علَت برسول الله يعرب رتبة ... غدا الطّرف يعي دونها حين يرمقُ
وهل يصطفي الرحمن إلاّ مكمّلاً ... يسابق أقطاب الكمال فيسبقُ
ويهدم أركان الضلال برشده ... ويهزم جيش الشرك، والشرك مطبقُ
وأيّد دين الله بالحلم تارةً ... وبالبأس طَوْراً والصّوارم تبرقُ
به انتشر الإيمان كالبرق في الدّجىٰ ... فأعلامه في الشرق والغرب تخفقُ
كفىٰ العرب فخراً أن منهم (محمداً) ... وأن له الشأو الذي ليس يلحقُ

* * *

(١) سنن البيهقي: ٩/ ١٠٣.